

الباب الثاني

الرسالات السماوية

obeikandi.com

الفصل الأول

الإيمانُ بالسَّالَاتِ

obeikandi.com

وجوب التصديق بالرسالات

من أصول الإيمان التصديق الجازم بالرسالات التي أنزلها الله إلى عباده بواسطة رسله وأنبيائه ، والتصديق بأنهم بلغوها للناس ، قال تعالى لموسى عليه السلام : ﴿ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي ﴾ « سورة الأعراف/ ١٤٤ » .

وقد أثنى الله على رسله الذين يبلغون رسالاته ولا تأخذهم في الله لومة لائم ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ﴾ « سورة الأحزاب/ ٣٩ » .

وقد كان هلاك الأمم بسبب التكذيب برسالات الله ، انظر إلى موقف صالح بعد أن حلَّ الهلاك بقومه : ﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولًا مِنْ رَبِّي ، وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُجِيبُونَ النَّاصِحِينَ ﴾ « سورة الأعراف/ ٧٩ » وموقف شعيب بعد هلاك قومه ﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ ، وَقَالَ : يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولًا مِنْ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ ، فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ . ﴾ « سورة الأعراف/ ٩٣ » .

الايمان بالرسالات كلها

والذي أوحاه الله لرسله قد يكون نزل من السماء مكتوبا كالتوراة التي أنزلت على موسى ، قال تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَا خُذُوا بِأَحْسَنِهَا ﴾ « سورة الأعراف/ ١٤٥ »

وقد يكون كتابا ولكنه أنزل إلى الرسول بالتلاوة والمشاهدة كالقرآن ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴾ « سورة الإسراء/ ١٠٦ » .

والمنزّل من السماء قد يجمعه كتاب كصحف إبراهيم والكتب المنزلة على موسى وداود وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم ، وقد يكون وحيا يلقي إلى الرسول أو النبي ، وليس بكتاب ، وذلك كالوحي المنزّل إلى اسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط والموحي به إلى نبينا من غير القرآن .

ويجب الإيمان بالوحي المنزّل كلّهُ ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ ، وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ ، وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ ، لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ ، وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ « سورة البقرة/ ١٣٦ »

وقال الله لرسوله ﴿ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيَّ مِنَ الْكِتَابِ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ﴾ « سورة الشورى/ ١٥ » وقال للمؤمنين : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أُنزِلَ مِنْ قَبْلُ ﴾ « سورة النساء/ ١٣٦ » . فما أعلمنا الله به تفصيلا كالكتب التي ذكرها وهي صحف إبراهيم وتوراة موسى وزبور داود وإنجيل عيسى والقرآن المنزّل على محمد ﷺ ، وكتكليم الله لموسى ، وإيحاء الله إلى صالح وهود وشعيب ، ووحى الله إلى رسوله محمد ﷺ من غير القرآن وقد تضمنته كتب السنة - نؤمن به تفصيلا كما أخبر الله تعالى ، ونؤمن بأنّ هناك كتباً ووحياً غير ذلك لم يعلمنا الله سبحانه بها .

كيف يكون الإيمان بالرسالات

ونحن نؤمن بما جاء في الكتب السماوية السابقة . وأنّ الانقياد لها ، والحكم بها كان واجبا على الأمم التي نزلت إليها الكتب ونؤمن بأنّ الكتب السماوية يصدق بعضها بعضا ، ولا يكذب بعضها بعضا ، فالإنجيل مصدق للتوراة ، قال الله في الانجيل ﴿ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ﴾ « سورة المائدة/ ٤٨ » .

ومن أنكر شيئا مما أنزله الله فهو كافر ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ «سورة النساء/ ١٣٦» وقال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ «سورة الأعراف/ ٤٠» .

ونصدق بنسخ الشريعة اللاحقة للشريعة السابقة كلياً أو جزئياً ، فقد أحل الله لآدم تزويج بناته من بنيه ثم نسخ هذا ، ومما كان مباحاً ليعقوب أن يجمع الرجل بين اختين في الزواج وفعله يعقوب ، ثم نسخ ، والإنجيل أحلَّ بعض ما حرّم في التوراة ﴿ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَأَحْلَلْ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ «سورة آل عمران/ ٥٠» .

والقرآن نسخ الكثير مما في التوراة والإنجيل ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ، وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ «سورة الأعراف/ ١٥٧» .

القرآن لا يكفي فيه مجرد التصديق .

الإيمان بالكتب السماوية السابقة تصديق جازم بها ، ومجرد التصديق لا يكفي في القرآن ، فلا بدّ مع التصديق من الأخذ به والعمل بما أمر به وترك ما نهى عنه ﴿ الْمَصِّ ، كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ ، لِيَتَذَكَّرَ بِهِ وَذَكَرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ، اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ، وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ، قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ «سورة الأعراف/ ١- ٣» .

فالقرآن هو الكتاب السماوي الوحيد الذي يصلنا بالله بعد بعثة الرسول ﷺ ، يقول الرسول ﷺ مخاطباً أصحابه : « أبشروا ، فإنَّ هذا القرآن بيد الله ، وطرفه بأيديكم ، فتمسكوا به ، فإنكم لن تهلكوا ، ولن تضلُّوا بعده أبداً » رواه الطبراني في الكبير^(١) .

(١) حديث صحيح ، صحيح الجامع (٦٦/١) .

فالقرآن هو العصمة من الضلال والهلاك لمن تمسك به ، وقد أكثر الرسول ﷺ من حث الأمة على التمسك بهذا الكتاب ، ففي احدي خطبه قال : « أما بعد ، ألا أيها الناس ! فإنما أنا بشر ، يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب ، وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله ، فيه الهدى والنور ، من استمسك به وأخذ به كان على الهدى ، ومن أخطأه ضلَّ ، فخذوا بكتاب الله تعالى ، واستمسكوا به ، وأهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي » رواه مسلم وأحمد^(١) .

والفتن التي تمرُّ بالمسلم وتعصف بالأمة لا سبيل للخلاص منها إلا بالأخذ بهذا الكتاب ، وما أجمل هذا الوصف لكتاب الله ! « كتاب الله ، فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ، ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضلَّه الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسن ، ولا تنقضى عجائبه ، ولا تشبع منه العلماء ، من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم »^(٢) .

(١) صحيح الجامع (٤٢٦/١) .

(٢) هذا حديث رواه الترمذي وغيره قال الشيخ ناصر فيه (شرح الطحاوية ص ٦٨) : هذا حديث جميل المعنى . ولكن اسناده ضعيف ، فيه الحارث الأعور ، وهولين ، بل اتهمه بعض الأئمة بالكذب . ولعل أصله موقوف على علي فأخطأ الحارث فرفعه إلى النبي ﷺ .